إنارةُ بَصَائِرِنَا وَإِحْياءُ قُلُوبِنَا بالتّدبّر في دروس حياتِنا

2025-10-17

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْبَرِيَّاتِ، وَجَعَلَ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ عِبَرًا وَعِظَاتٍ، وخوّفهم بالآيات، وذكّرهم المَثُلات؛ ليعتبروا ويتّعظوا، فسبحانه من إله جعل لكل شيء بداية. ولكل بداية نهاية. فطوبى لمن ختم دنياه بالهداية. وويل لمن لوّثها حتى النهاية بالغواية. نحمده تعالى ونشكره على نعمة الإسلام. ونستوهب منه عفوه الجميل ممّا ارتكبناه من الآثام. ونطلب منه الهداية والدخول في زمرة مَنْ قال: ربِّيَ اللهُ ثم استقام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد القهّار، العزيز الغفّار، مكوِّر الليل على النهار، تذكرةً لأُولى القلوب والأبصار، وتبصرةً لذوي الألباب والإعتبار، الذي أيقظ مِن خَلقه مَن اصطفاه فزهّدهم في هذه الدار، وشغلهم بمراقبته وإدامة الأفكار، وملازمةِ الإتّعاظ والإدّكار، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيِّدنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خلقه وخليله. بَشَّرَنَا وَأَنْذَرَنَا، وَعَلَى الخَيْرِ دَلَّنَا وَأَرْشَدَنَا، وَمِنَ الشَّرِّ نَفَّرَنَا وَحَذَّرَنَا، فَهُوَ النَّاصِحُ المُبِينُ، وَالصَّدُوقُ الأَمِينُ،

هذا محمّدُنا للحقّ أرشَدَنَا * ومِنْ بِحار الرَّدَى والهُلْكِ أَنقذنَا

هذا الذي جاء بالحقّ الْمُبِينِ لنَا * وأذهب الشِّرْك بالآيات والحُجَجِ

صلّوا على المصطفى ذي الْمَنْظَرِ البَهِجِ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. صفوة الأصفياء المتوَّجين بتاج الجلال والجمال. وعلى آله الذين هم خير عِتْرة وأشرف آل. وصحابته نجوم الهداية وحسنات الأيام والليال. صلاة تصلح بها منّا الأقوال والأفعال. وتوفّقنا بها لصدق النية وصالح الأعمال. وتلهمنا بها حُجَّتَنَا المنجية يوم العرض والسؤال. وتجعلنا بها من الآمنين المطمئنّين عند تراكم الزلازل والأهوال. يا من إليه المفزَع في الحال والمآل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إِنَّ

الْحَيَاةَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ وَأَجَلِّهَا، وَهِبَةٌ تُوجِبُ شُكْرَ وَاهِبِهَا، فَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى مَلِيئَةً بِالْعِبَرِ، يُدْرِكُهَا مَنْ تَفَكَّرَ وَتَدَبَّرَ. وَقَدْ حَفَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِتَجَارِبَ مِنْ حَيَاةِ الْآخَرِينَ، لِنَقْتَبِسَ مِنْهَا فَوَائِدَ تُنِيرُ بَصَائِرَنَا، وَتُحْيِي قُلُوبَنَا، فَمِنَ الْحَيَاةِ نَتَعَلَّمُ دُرُوسًا إِيمَانِيَّةً، وَقِيَمًا أَخْلَاقِيَّةً، وَمَهَارَاتٍ حَيَاتِيَّةً، مَنْ وَعَاهَا وَعَمِلَ بِهَا؛ حُمِدَ أَمْرُهُ، وَبَقِيَ فِي النَّاسِ ذِكْرُهُ، وَعَظُمَ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرُهُ. فَمَاذَا نَتَعَلَّمُ مِنَ الْحَيَاةِ يَا عِبَادَ اللَّهِ؟ نَتَعَلَّمُ مِنْهَا أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ حِصْنٌ مَنِيعٌ، وَمَلَاذٌ رَفِيعٌ، مَنْ تَفَيَّأَ ظِلَّهُ اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ، وَقَوِيَتْ عَزِيمَتُهُ، وَطَابَتْ مَعِيشَتُهُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ اَوُ اُنثيٰ وَهُوَ مُومِنٞ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ}، أيّها المسلمون. فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِمَا رَحُبَتْ، فَلَمَّا تَمَسَّكَ بِسَفِينَةِ الْإِيمَانِ، وَصَدَقَ فِي تَوَكُّلِهِ عَلَى الرَّحْمَنِ؛ انْجَلَتْ عَنْهُ الشِّدَّةُ، وَانْقَلَبَتْ مِحْنَتُهُ مِنْحَةً، قَالَ تَعَالَى في سورة الأنبياء: {وَكَذَٰلِكَ نُنجِے اِ۬لْمُومِنِينَۖ}، فَاجْعَلُوا رحمكم الله الْإِيمَانَ بِاللَّهِ دَوْمًا زَادَكُمْ، وَعِنْدَ الْخُطُوبِ مَلَاذَكُمْ، وَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ رَبِّكُمْ، فَقَدْ عَلَّمَتِ الْحَيَاةُ الذَّاكِرِينَ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ فِيهِ تَزْكِيَةٌ لِلنُّفُوسِ، وَحَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ. قال تعالى في سورة الرعد: {أَلَا بِذِكْرِ اِ۬للَّهِ تَطْمَئِنُّ اُ۬لْقُلُوبُۖ}. فَبِالذِّكْرِ يُشْرِقُ الْفُؤَادُ، وَتَأْنَسُ الرُّوحُ، وَبِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ يَضِيقُ الصَّدْرُ، وَيَتَكَدَّرُ الْعَيْشُ، قَالَ سُبْحَانَهُ في سورة طه: {وَمَنَ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِے فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكاٗ}. فَامْلَؤُوا رحمكم الله بِذِكْرِ اللَّهِ أَوْقَاتَكُمْ، وَاجْعَلُوهُ رَبِيعَ قُلُوبِكُمْ. أيّها المسلمون. وَمِمَّا تُعَلِّمُنَا الْحَيَاةُ: أَنَّ الدُّعَاءَ بَابُ الرَّجَاءِ، وَرَاحَةُ الْقُلُوبِ عِنْدَ الِابْتِلَاءِ، فَكَمْ مِنْ قَلْبٍ مُنْكَسِرٍ جَبَرَهُ الدُّعَاءُ، وَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ أَبْرَأَهُ الدُّعَاءُ، وَكَمْ مِنْ مَهْمُومٍ كَشَفَ اللَّهُ غَمَّهُ بِالدُّعَاءِ، فَالْجَؤُوا إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فيما رواه أبو داوود: ((إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا)). أيّها المسلمون. وَعَلَّمَتِ الْحَيَاةُ الْوَاثِقِينَ بِرَبِّهِمْ: أَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللَّهِ، يَقْسِمُهُ بَيْنَ عِبَادِهِ بِحِكْمَتِهِ، وَيُسَبِّبُ أَسْبَابَهُ بِرَحْمَتِهِ، قال تعالى في سورة الذاريات: {إِنَّ اَ۬للَّهَ هُوَ اَ۬لرَّزَّاقُ ذُو اُ۬لْقُوَّةِ اِ۬لْمَتِينُۖ}، فَكُنْ أيّها المؤمن رَاضِيًا بِقِسْمَتِهِ، شَاكِرًا لِنِعْمَتِهِ، وَلَا تَجْزَعْ لِمَا

فَاتَكَ، وَلَا تَفْرَحْ بِمَا جَاءَكَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَذْهَبَ عَنْكَ مَا كُتِبَ لَكَ، وَلَنْ تَنَالَ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَكَ. أيّها المسلمون. وَعَلَّمَتِ الْحَيَاةُ الصَّادِقِينَ؛ أَنَّ الصِّدْقَ مَنْجَاةٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: ((إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ))، فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ تَمَسَّكَ بِالصِّدْقِ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ، وَفَتَحَ لَهُ بَابَ السَّلَامَةِ وَعَافَاهُ، فَالْزَمُوا رحمكم الله الصِّدْقَ فِي أَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَجَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ. أيّها المسلمون. وَعَلَّمَتِ الْحَيَاةُ الْمُنْصِفِينَ؛ أَنَّ أَدَاءَ الْحُقُوقِ مِنْ أَوْجَبِ الْوَاجِبَاتِ، وَأَنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ، فَهُوَ يُغْلِقُ عَلَى الْمَرْءِ طُرُقَ نَجَاحِهِ، وَكَيْفَ يُفْلِحُ الظَّالِمُ؟ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، فَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ وَخِيمَةٌ، قال سبحانه في سورة آل عمران: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. أيّها المسلمون. وَمِمَّا نَتَعَلَّمُهُ فِي الْحَيَاةِ، أَنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ يَبْقَى أَثَرُهَا، وَتَطِيبُ ثِمَارُهَا، ففي الحديث المتفق عليه، قال صلى الله عليه وسلم: ((وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ))، فَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ أَسْعَدَتْ قَلْبًا، وَحَفَّزَتْ إِنْسَانًا، وَأَطْفَأَتْ نَارَ الْخِصَامِ، وَأَضَاءَتْ نُورَ الْمَحَبَّةِ وَالْوِئَامِ، فَطَيِّبُوا بِهَا يا عباد الله أَفْوَاهَكُمْ، وَجَمِّلُوا بِهَا مَجَالِسَكُمْ. أيّها المسلمون. تُعَلِّمُنَا الْحَيَاةُ أَنَّ مَنْ يَقْرَأُ أَعْمَارَ الْآخَرِينَ، يُضِيفُ إِلَى عُمْرِهِ أَعْمَارًا، وَلَا عَجَبَ فَالنَّظَرُ فِي تَجَارِبِ السَّابِقِينَ، نَهْجٌ قُرْآنِيٌّ قَوِيمٌ، قَالَ تَعَالَى في سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، فَانْهَلُوا أيّها الناس مِنْ تَجَارِبِ كِبَارِكُمْ، فَإِنَّهُمْ أَسَاتِذَةُ الْحَيَاةِ، حَازُوا دُرُوسَهَا وَعِبَرَهَا، وَصَقَلَتْهُمْ تَجَارِبُهَا، وَعَلَّمَتْهُمْ مَوَاقِفُهَا، وَكَفَى بِتَجَارِبِ الْحَيَاةِ مُعَلِّمًا، خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ مِنْ قَائِدٍ فَذٍّ، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تُقَدِّمُ زَادًا مِنَ الْحِكْمَةِ، وَخُلَاصَةً مِنَ الْخِبْرَةِ، يَهْتَدِي بِهَا السَّائِرُونَ، وَيَقْتَدِي بِهَا الْمُعْتَبِرُونَ. أَلَا فَاسْتَفِيدُوا عِبَادَ اللَّهِ مِنْ تَجَارِبِكُمْ، وَتَجَارِبِ مَنْ سِوَاكُمْ، وَلَا تَبْخَلُوا بِخِبْرَاتِكُمْ عَلَى غَيْرِكُمْ، ابْذُلُوهَا لَهُمْ، فَفِي الحديث المتفق عليه، قال صلى الله عليه وسلم: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))، وَانْقُلُوا تَجَارِبَكُمْ لِأَبْنَائِكُمْ، وَعَلِّمُوهُمُ الِاسْتِفَادَةَ مِنْ تَجَارِبِ غَيْرِهِمْ، لِتَكُونَ لَهُمْ قِيَمًا يَسِيرُونَ بِهَا فِي حَيَاتِهِمْ، فَيَكُونُونَ مِنَ الْمُتَفَكِّرِينَ الْمُتَدَبِّرِينَ، الَّذِينَ يَرَوْنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ حِصَّةً، وَفِي كُلِّ صُعُوبَةٍ فُرْصَةً، وَفِي

كُلِّ مُنْعَطَفٍ دَرْسًا. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِكَ مُؤْمِنِينَ، وَلَكَ عَابِدِينَ، وَمِنَ الْحَيَاةِ مُتَعَلِّمِينَ، وَمِنْ تَجَارِبِهَا مُسْتَفِيدِينَ، وَبِوَالِدِينَا بَارِّينَ، وَارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ آتِ نَفوسنا تَقْوَاهَا. وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا. أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا. اللَّهُمَّ إِنَّا نعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ. وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ. وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ. وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا. اللَّهُمَّ اهْدِنا لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ، فَإِنَّهُ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا. لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ. اللهم علِّمنا ما ينفعنا. وانفعنا بما علَّمتنا. وزدنا علماً، وأرنا الحق حقّاً وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. فاللهم يا كاشفَ الهمِّ. ويا منفِّسَ الكرب، ويا رافع الضُّر، يا رحمنَ الدنيا والآخرة ورحيمَهما، أكشف الضُّرَ عن إخواننا المستضعفين في فلسطين. وفي كلِّ مكان، اللهم ارحم ضعفَهم. واجبر كسرَهم. وتولَّ أمرهم. واحفظهم. واحقن دماءَهم. يا ربَّ العالمين. اللّهمّ قوِّ شوكتَهم، وسدِّد رأيَهم ورَميَهم، وثبّت أقدامَهم. وانصرهم على عدوّك وعدوِّهم. يا ربّ العالمين. اللّهمّ انصر دينَك وكتابَك. وسنّةَ نبيّك وعبادَك المؤمنين، اللّهمّ أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين، ودمّر أعداءَك أعداء الدين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ